

# آراء وأصداء

## في انظار ... غادا

جزيرة خاوية في بحر الشمال ، كانت الطائرات البريطانية قد قلبتها اباذ الحرب ارضاً يوارا - لكن يمكن حقا ان تبحت شؤون الادب اسبوعا بكامله بعيداً هذا البعد عن شطآن البحر المتوسط التي تغسلها الشمس ؟ وكان الناشر الالماني على وشك اقتناع الوفود بفكرة جزيرته الشمالية عندما خطرت بالبال لحسن الحظ جزيرة كورفو الهائلة في الادرياتيكي ، حيث قذفت الامواج يولسيز في القديم بعد ان غطمت سفينته ( ولقي فيها الاميرة نوسيك ) ، وحيث كان لآخر قياصرة المانيا قصر صيفي رائع ( وما زال الاولاد فيها ينشدون اغاني المانية وكانها من الفوكلور الهوميوسي ) .

واستقر المؤتمرون في الجزيرة ، لكن انتقلهم من امور السياسة الى امور الادب كان عليه ان يتأخر من جديد بسبب قضية انتخاب رئيس لمؤتمر هذا العام . فقد اقترح الفرنسيون ، بشيء من الثقة بالذات ، شيخهم الجليل جان بولهان . لكنه فشل ، وفازت باكثرية الاصوات المطلوبة ممثلة انكلترا الانسة ايريس ميردوك ( الروائية المعروفة واستاذة الفلسفة في جامعة او كسفورد ) . ولدة اسبوع بكامله استملت زمام الرئاسة هذه المؤلفة ، الجميلة جمالا غريباً كرواياتها ، الذكية ذكاء سديدا كدراساتها الفلسفية ، وتصرفت طواله بزيد من التواضع والحزم والعدل ، وكانت تقابل كل يوم بالهتاف والاستحسان ، حتى عندما كانت تتزلج على المياه عند الشاطئ او ترقص التويست في صالة القصر .

لو ان باستطاعة الادباء ان يقتنعوا في كتاباتهم ولو شيئا من البراعات المسرحية والبلاغية وجو التأمر والهزل الذي يبدوونه في ما يحضرونه من مؤتمرات ادبية دولية ، لاكتسب العالم الف طرفة ادبية اخرى على الاقل . فلا شك ان الاجتماعات التي دارت مؤخراً للتقرير في جائزتي فورمنتور لهذا العام ، وهما الجائزتان اللتان تقدمهما ثلاث عشرة دار نشر في اوربا وامريكا ، ويحضرها خمسون ناقداً من مختلف الاقطار يعملون كهيئة محكمين ، كانت مقعدة ككتاب لفلايمير نابوكوف ، وغريبة كصفحة بقلم غادا كتبها بلغة لا ترجم ، وتكاد تكون مشؤومة كرسالة لسولزهنيتسن من وراء الاسلاك الشائكة .

كان فرانكو قد حرم المؤتمر هذه السنة من مقره ، فقد ساه ان دار النشر الايطالية اينودي في ميلانو نشرت كتاباً يضم اغاني للمقاومة الاسبانية - فسمح لذا لاعضاء المؤتمر بعقده كمادتهم في جزيرة مايوركا ، لكنه استثنى منهم الوفد الايطالي . غير ان بقية الاعضاء ابدوا تضامناً مؤثراً مع زملائهم الايطاليين ، ورفضوا ان يجتمعوا من جديد في فورمنتور ، التي عرفت الجائزتان باسمها . ومع ان قليلا من الناشرين الاخرين كان ليدافع عن الكتاب الذي نشرته دار اينودي ( فالاغاني فيه كانت قيمتها اباحية اكثر منها ادبية ) الا انهم اتفقوا جميعاً على التفتيش عن جزيرة اخرى تصلح للاجتماع . رودس ؟ كورسيكا ؟ هليغولاند ؟ واقترح ناشر الماني عقد المؤتمر في

فورمنتور « ذاتها ، التي كانت قد منحت فيا مضى لصموئيل بيكيت الايرلندي ويورغه لوي بورغيز الارجننتيني ويوي جونسون الالماني . واحتمد النقاش نهاراً وليلة بطولهما ، تجلى فيه التواضع الالماني والبلاغة الفرنسية والحياة الانكليزي . وكان حونسون ، الفائز بالجائزة للعام الماضي ، احد المحكمين الالمان ، ولم يكن لديه الا القليل من الكلام يقوله في صالح ادباء وطنه ( بتير وايس ، وغنتر غراس ، وهلونت هليسنوبتيل ، وهنريخ بول ) . واعترف ميشيل بوتور بعبارات متلافة بان المشهد الادبي في فرنسا غني جداً بالمواهب الادبية الحارقة ( كلودسيمون ، ومارغريت ديروا ، وناتالي سارو ، وروب غرييه ، وروبير بنجيه ) الى حد يجعل الفرنسيين ، المعروفين عادة بتمجيدهم لقرائهم هم ، يصوتون هذه السنة لمرشح اجني . وقد كان هذا الكرم معدياً فساند امريكي روائياً يونانياً ( بريفا كليس ) ، وساند الالمان مجرياً ، هو تيبور ديري ( وكان قد افرج عنه قبل زمن يسير بعد ان سجن للدور الذي لعبه في ثورة بودايبست في ١٩٥٦ ) ، رساند سويدي كاتباً فنلندياً ( فيجو ميري ، الذي يبدو انه كاتب شاب ممتع جداً ومغمور ) ، وامتدح ناقد انكليزي للروائيين اليابانيين ميشيا وتانيزاكي ، وامتدح ناقد اسباني بشدة الكاتب الانكليزي رتشرد هيوز . وبدا الجميع واسمي الصدر منفتحي الآفاق بشكل رائع . بل اني انا ايضاً اسهمت ، من دون قصد ، بادخال عنصر ايدلوجي حاد في المناقشة ، عندما اقترحت الكاتب الروسي الكساندر سولز هينستن وكتابه الهائل عن الحياة في سجن روسي « يوم واحد في حياة ايفان ديسوفيتش » ، ولم اكن اعرف ان الالماني شوقياً كان قد اقترحه قبلي ، هو هانس مير ( ولم يستطع حضور المؤتمر لانه كان اذ ذاك يمانني هجوماً « لانحرافاته المقائدية » في بلاده ) .

وظل هذا التوتر المتفتح ، المتخطي حدود القومية الادبية والنمرات الثقافية الضيقة ، مسيطراً

ولعبت السياسة دورها مرة اخرى . فلم يخل منح « جائزة الناشرين الدوليين » للكاتب الاسباني الفرنسي يورغه سبران لروايته البكر « الرحلة الكبيرة » من غرائب وتعقيدات ميلودرامية . فبعض الاعضاء الالمان لم يرق لهم ان تعطى الجائزة لكتاب عن معسكرات الاعتقال النازية ، والاسبانيون خشوا من انهم لن يستطيعوا ان ينشروا في بلادهم هذا الكتاب بما فيه من ايدلوجيا لا ترضى عنها الدولة . وقضى المجتمعون صباحاً كأن الحرب الاهلية في اسبانيا والحرب ضد هتلر قد عادتا فيهم من جديد . اذ ذاك وصلت المؤتمر برقية غريبة من باريس ، ذكر ان مرسلها هو سلفادور ده مادريارغا ، يحدّر فيها المجتمعين من هذا المؤلف الذي سماه « حجراً قليل الشأن في لعبة شطرنج ستالينية » . وكانت نتيجة هذه البرقية ان التأمّت الصفوف منادية بجماسة ضد هذا « التدخل السياسي من الخارج » ، وصوت الالمان انفسهم الى جانب المؤلف الذي كانوا قد قاوموه بشدة من قبل . لكن من كان مرسل البرقية فعلاً ؟ بعد ان خفتت موجة النعمة ( وبعد ان منحت الجائزة ) تبين ان سلفادور ده مادريارغا لم يكن اذ ذاك في باريس ، ولم يسمع قط باسم سبران ، ولم يرسل اية برقية مطلقاً ! واذا كان صحيحاً ، كما قالت احدي الصحف الانكليزية ، ان خيئنا ما قد استعمل اسم مادريارغا واسمه استعماله ، فانه ربما كان هذا الحث مزوجاً بهدف ما ، فهل كان هذا مقلباً ذره الفاشيون اليمينيون بغية القضاء على سمعة سبران ؟ او هل كان حيلة شيوعية يسارية ذكية القصد منها تشويه سمعة مادريارغا ، كبير الديمقراطيين الاسبانيين في المنفى ؟ هذه اسئلة لم يعرف احد جوابها ، لكن الحياة الادبية في المؤتمر اخذت لمدة من الزمن طابع رواية بوليسية ، ولم تكن ميردوك لتحل المشكلة فيها ، فميفريه وحده يعرف حلها !

وجاء دور الجائزة الكبرى « جائزة

من نتاج نابوكوف ، او لعلمهم لم يقرأوا شيئاً منه مطلقاً . واعترضهم اصرار الفرنسيين والانكليز والامريكان ، الذين لم يكونوا قد قرأوا كثيراً من نتاج غادا ، او لعلمهم لم يقرأوا شيئاً منه مطلقاً ( او ان قرأوه فحتماً ليس باصله الايطالي ، لأن نثره مليء بالاعتابير العامية ويعجز عن فهمه حتى رجال الاختصاص ) . واصبح الامر في يد المحكمين السكندنافيين الذين كان بمقدورهم ترجيح هذه الكفة او تلك . وفي الاقتراع الخامس اتقلوا باصواتهم ، لاسباب مجبولة لكنها حاسمة ، وساندوا غادا . وانتصب الايطاليون واقفين ، هاتفين ومجلجين . اما جميع الباقين ، فظلوا صامتين ، يشعرون بحرج . وهكذا اصبح غادا بين عشية وضحاها بطلا قوميا وموضوع احاديث العالم الادبي بأسره .

وفي اليوم الاخير من الاسبوع ، وكان كل شيء قد اوشك ان ينتهي ، قام يوي جونسون الفائز بجائزة فورمنتور للعام الماضي ليستلم تشكته الضخم . وابدى شكره ، بالطبع ، لكنه قال انه غير راض تماماً عن الوضع ، واعلن بفظاظة انه سيمتنع عن البقاء في هيئة المحكمين . وقال انه عانى اسبوعاً بطوله من الترف والبذخ ، فلا عجب ان يشعر ( وهو الكاتب البروليتاري الاصيل ) بانه « غريب واجني » . وبعد اسبوع من افخر المأكول والمشروب تقوه بخطبة وداعية مرة ، وذرف دموعاً من اجل « الادب المعاصر » . لكن ما الذي اغاظه ولم يستطع تحمله؟ الطعام؟ الشراب؟ الرقص والقمار في قصر القيصر الرومنطقي؟ ظلال اشجار الزيتون المنمشة؟ الشمس المتوهجة على الشاطئ العامر بالخصى؟ كل ما نعرفه يقين هو انه انسحب متشامخاً ، وعلى وجهه امائر التفكير الساهم الحزين ، وسترته الجلدية السوداء الانيقة تلتئم تحت اضواء التلفزيون .

ملفين ج . لاسكي

على جو المؤتمر . ومجاهل الانكليز والامريكان حماس سوام لكتسابهم هم ( جون ابدايك ، ورتشرد هيوز ، و ج . د . سلنفر ، ووليم غولدنف ) ، وضموا قوام مما لمساندة فلاديمير نابوكوف المتمد اللغات ، نجم « النار الشاحبة » ، ومشرّد الادب . هل يتحد مما مستأصلو الجذور في العالم ؟ لقد ولد نابوكوف في روسيا ، وكتب رواياته الاولى في المانيا ، ونظم شعره في فرنسا ، ووضع روايته « لوليتا » في امريكا ، وهو الآن يطارد الفراش في جبال الالب في سويسرا - فلا عجب ان كان الكاتب المفضل . صحيح انه ليس في حاجة لمزيد من الثروة والشهرة ، لكن جميع مؤلفاته تقريباً مهملة ( باستثناء كتاب واحد معروف بشقاوته ) - ومن من مجاليه يضاهيه في اسلوبه وافكاره وبراعته في التجارب الادبية ؟

لكننا ، وا اسفاه ، لم نكن قد حسبنا حساب زملائنا الايطاليين . فهو ذا ابناء روما ، الذين مازالوا يلهون بامبراطوريات يقهرونها ؛ وهو ذا جماعة مكيافيلي ، المحنكون في امور التكتيك والتخطيط . فلم يكن عندهم ما يقولونه بحق ذوي المواهب من الاجانب ، بل وبحق ذوي المواهب من ابناء وطنهم ( جيورجيو بساني وسواه ) - بل انهم باجمعهم ركزوا قوام على مساندة رجل واحد ، هو كارلو ايميليو غادا ، وهو ايطالي في السبعين من عمره ، قد يكون في آثاره الادبية « عمق شامل » لكنه معروف بانه « عبقرى تصمى آثاره على الترجمة » . بدأت الحملة في صالحه بخطاب بديع لابرتو مورافيا الذي ، كما وصفه احد الصحفيين ، « خطا خطوات جبارة كأنه آل كابوني بين زملائه المتقصرين » ، وتبعه ايليو فيتوريني ، ثم ايتالو كالفينو . وراحوا معاً ، وكأتهم عصابة محكمة التنظيم ، يبشون بنابوكوف : فهو كاتب انحلاي ، وهو مشعوذ ، وهو ممثل هزلي ، وهو يستعمل البراعة اكثر مما ينبغي ، وكذا المزاح والالاعيب ، والتأنيق . وانضم اليهم الاسبانيون ثم الامان ، الذين لم يكونوا قد قرأوا كثيراً

## بهذه القيم نؤمن

صدرت في اثنينا في الشهر الماضي مجلة جديدة باللغة اليونانية ، اسما « ايبوك » ، وتربطها اوثق الروابط بالمجلات الاخرى التي تصدر عن المنظمة العالمية لحرية الثقافة . يحرر هذه المجلة الروائي والكاتب المسرحي انجيلوس تيرزاكيس ، ومن اعضاء هيئة تحريرها جورج سفيريس ، ابرز شعراء اليونان الاحياء . وقد وردت في افتتاحية المجلة ، الراسمة لاهدافها ، المقاطع التالية :

واتخاذ المقررات في ايدي افراد معينين ؛ وان عواقب هذه النزعة كانت دائما وخيمة حتى في المراحل التاريخية التي بدت فيها كمرحلة طبيعية نحو حرية الانتقاد . ونحن على يقين بانه لا توجد على الانسان ، الذي يريد حقا ان يكون انسانا ، سلطة تستطيع ان تحرره حرية التفكير .

واذا نحن فكرنا في هذه القيم التي تشكل اساس كرامة الانسان وجدنا انها تنتهي الى وظيفة اساسية للجنس البشري ، الا وهي اقامة حوار في المجتمعات .

ان سير الانسان في سبيل التقدم والسعادة وفي سبيل كل ما يمثل حقوة وآماله ، يفترض بالضرورة هذا الحوار ؛ ومن خلاله ومن خلال التوازن الفكري تنبجس الحقيقة التي تخطط طريق البشرية . وحيثما ينقطع هذا الحوار نلاحظ بسرعة تدني الانسان وانحطاطه ؛ وقد مرت اجيالنا بتجربة مريرة من هذا القبيل . ولا ريب بان بعض القراء سيجدون هذه الحقائق بديهية ، ولكننا نطلب منهم ان يمعنوا النظر فيما حولهم وفي داخل انفسهم ليجدوا ما هي الاخطار التي تهدد الكرامة الانسانية كما حاولنا ان نحددنا هنا . ان هؤلاء القراء لا يفقهون بانه يتحتم علينا ان نحمي هذه القيم بصورة مستمرة . واتنا نصدر هذه المجلة ونحن نطمح الى اثارة هذه المعركة في الضائير وتحريك القوى الثقافية والروحية في سبيل الدفاع عنها ، مستمدين حيويتنا من الماضي والحاضر ومن الجيل الصاعد الذي يحمل رسالة فنية صافية .

ان الحضارة الاوربية المنبثقة عن التقاليد اليونانية والرومانية والمسيحية ، ترتبط في وعينا ببعض القيم . وجماع هذه القيم يعطي صورة كاملة عن الانسان الذي كونته هذه الحضارة . ومع اننا لا نميل الى وضع هذه القيم المترابطة في طبقات متفاوتة ، يجدر بنا ذكر حرية التفكير في المقام الاول ، فهي تفترض ازالة كل تدخل مادي او معنوي من شأنه ان يكبل الفكر البشري ؛ وبدون هذه القيمة الاساسية التي تستتبع حرية التعبير تصبح سائر القيم بلا جدوى ، وقد تكون ضارة في بعض المناسبات .

وثمة قيمة اساسية اخرى في حضارتنا الا وهي ابراز الشخصية الانسانية من بين مجموعة البشر . فالانسان المعاصر يجد نفسه امام تعاليم تكفر بهذه الشخصية وترمي الى اغراقها في بحر من الشك والاحاد ، مع حرمانها من حقا المقدس في التمتع بحياة روحية بهيجة . ولكن لحسن الحظ ان قوة الحياة ذاتها تقضي على هذه الاساليب الاصطناعية التي تقف سدا منيعا في وجه التطور البشري ، وكل انسان ثاقب النظر يدرك اننا ندخل مرحلة اعادة القيم السلبية الى الانسان مع كل متطلباتها الثقافية . واذا نحن تابعنا هذا التعدد للقيم وصلنا الى مجموعة تتضمن حرية انتقاد السلطة الحاكمة وحق المراقبة الفعالة ، وهي قيم سفك الاوربي دمه للفوز بها ؛ ومع انه لا يصح التنازل عنها ، فقد تبذل محاولات لا تتزاعا منه .

ان حق استعمال التفكير قبل اتخاذ موقف ما يناقض مذهب السلطة ، اي نزعة وضع مهمة التفكير